obeikandl.com

obeikandl.com

من الإشارات العلمية فى سورة الحاقة

(١) ذكر عدد من الأقوام البائدة من أمثال أقوام عاد، وثمود، وفرعون، وأقوام كل من نبى الله لوط، ونبى الله نوح (عليهما السلام)، والكشوف الأثرية تثبت صدق القرآن الكريم فى كل ما أشار به إلى تلك الأقوام.

(٢) التلميح إلى حقيقة أن بلايين الأفراد من بنى الإنسان الذين يملؤون جنبات الأرض اليوم، والذين عاشوا من قبلهم إلى الناجين من طوفان نوح، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة، كل هؤلاء هم من نسل سيدنا نوح (عليه السلام) ونسل من نجاهم الله (تعالى) معه:

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

ومعنى ذلك أن البشرية من بعد طوفان نوح وإلى قيام الساعة كانت فى صلب هذا النبى الكريم، وأصلاب الذين آمنوا ونجوا معه على ظهر السفينة التى نجاهم الله (تعالى) فيها؛ ولذلك قال (تعالى):

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١١].

والخطاب للبشرية كلها من بعد نبى الله نوح (على نبينا وعليه السلام) وعلوم الوراثة الحديثة تؤكد هذه الحقيقة وتدعمها.

(٣) التأكيد على حقيقة الغيب المطلق الذى لا سبيل للإنسان فى الوصول إليه إلا بوحى السماء، والغيب المرحلى الذى تجاهد العلوم المكتسبة كلها فى الوصول إليه بالتدريج كلما تقدم العلم، وهذه العلوم المكتسبة تثبت اليوم ذلك بتقدمها المطرد، وبإثبات أن كل ما علمه الإنسان من مادة الجزء المدرك من الكون لا يكاد يتعدى عشرة بالمائة مما هو موجود فعلا ومقدر بالحسابات الرياضية؛ ولذلك يطلق على التسعين بالمائة الباقية أسماء مثل: المادة الخفية، والمادة السوداء، أو المادة الداكنة.

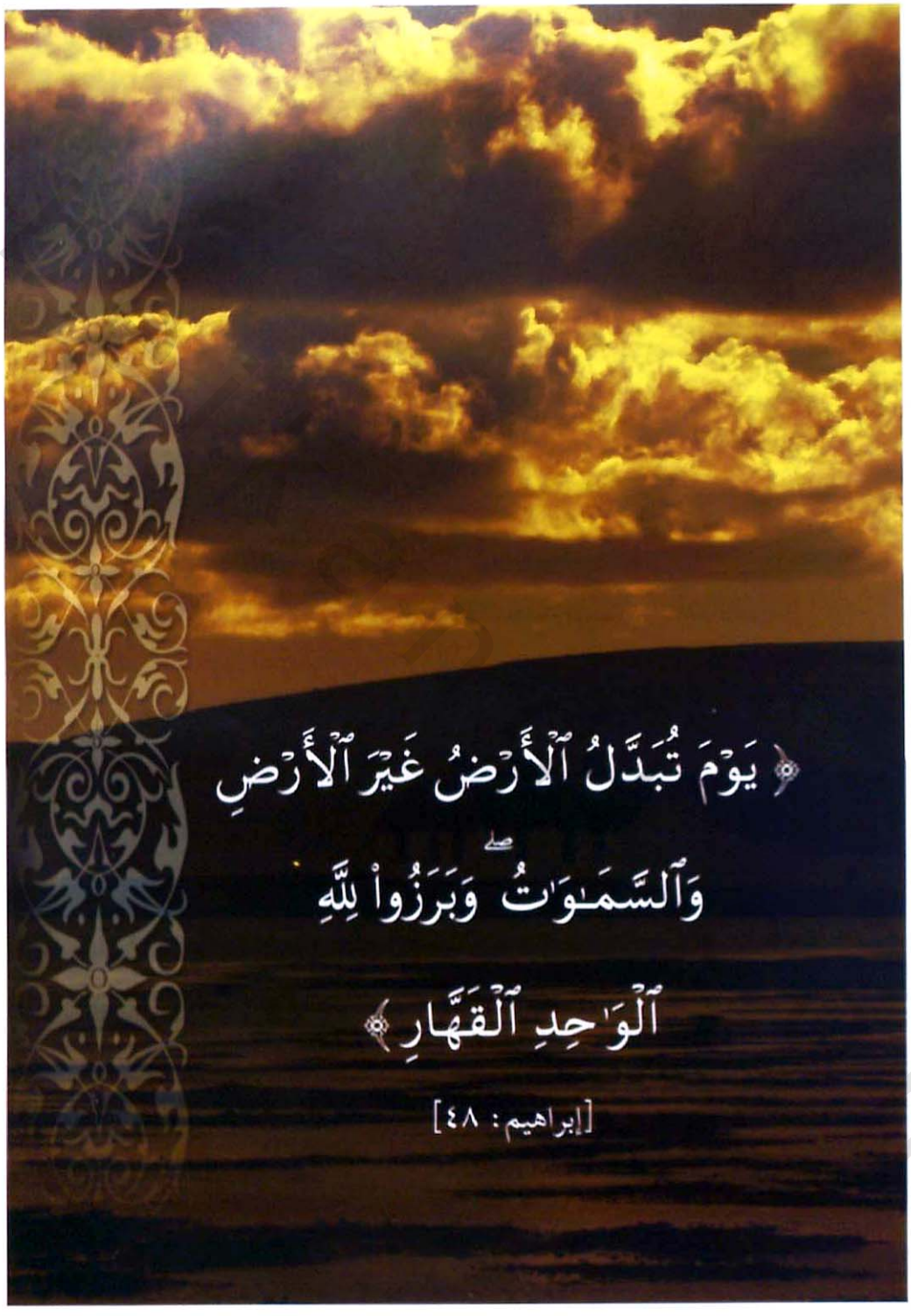
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ
ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾
[إبراهيم: ٤٨]

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾

[الحاقة: ١١]

من الدلالات العلمية فى الآية الكريمة

أولا: فى قوله (تعالى): ﴿إنا لما طغى الماء ...﴾

جاءت قصة طوفان نوح فى العهد القديم، كما جاءت فى القرآن الكريم:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وبعد جهود من البحث المضنى أثبت الأثرى دكتور «تشارلز ويلليس ـ Charles Willis» فى سنة ١٩٨٠م أن الموقع الصحيح لاستواء سفينة نوح هو «جبل الجودى ـ Mount Cudi or Judy Dagh» على بعد ٢٥٠ ميلا إلى الجنوب الغربى من جبل أرارات، وهو يمثل أعلى قمة فى سلسلة جبال جنوب تركيا، إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، وقد وجدت فى هذه القمة بقايا سفينة نوح التى وجدت مطمورة فى رسوبيات مياه عذبة.

كذلك فإن سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتى كانت مهدا لعدد من الحضارات القديمة سجلت خبر الطوفان الذى وجدت آثاره على هيئة سمك هائل من رسوبيات الماء العذب تغطى المساحة ما بين النهرين، وقد تم الحفر عليها فى أربعة مواقع على الأقل هى **«أور ـ UR»**، و**«إيريك ـ Erech»**، و**«كيش ـ Kish»**، أو تل الأحمد،

و«شوروباك ـ Shuruppak»، أو تل القعدة، ويتراوح عمر هذه الرسوبيات بالفترة بين ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد قام بدراسة هذه المواقع مجموعات متتابعة من العلماء منهم «هول ـ R. H. Hall» من «المتحف البريطانى بلندن ـ British Museum»، و«ليونارد وولى ـ Leonard Woolley» فى مشروع مشترك بين المتحف البريطانى و«جامعة بنسلفانيا ـ Uiniversity Of Pennsylvania» وقد استمرت البحوث الأخيرة فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣٤م، وكشفت عن بقايا حضارات قديمة على عمق عشرة أقدام من رواسب الماء العذب: من الغرين والصلصال والرمل التى تمتد لآلاف الكيلومترات المربعة، والتى لا يمكن أن تنتج إلا عن طوفان غامر. وقد تأكد ذلك بدراسة تمت فى كهف يقع فى شمال العراق يعرف باسم «كهف شانيدار العظيم ـ The Great Shanidar Cave» يحوى قطاعا من الرسوبيات يعود عمرها إلى مائة ألف سنة مضت، ويحوى بقايا إنسية، وقد قام بدراسته دكتور «رالف سونسكى ـ Ralph Soneck». وقد حملت كل رسالات السماء التى أنزلت من بعد نبى الله نوح (على نبينا وعليه من الله السلام) أخبار هذا الطوفان حتى تكون فيه العبرة لبنى الإنسان.

يبقى وصف طوفان نوح كما جاء فى القرآن الكريم هو المرجع الحق عن هذه الواقعة الكبرى فى تاريخ الإنسانية، وقد لخصها القرآن الكريم فى عشرات الآيات الكريمة التى نختار منها قوله (تعالى):

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر: ٩ ـ ١٧].

ثانيا: فى قوله (تعالى): «... *حملناكم فى الجارية*»

والضمير فى (حملناكم) يعود على ذرية نوح (عليه السلام) وذرارى من حملهم

معه فى سفينته ، أى إلى البشرية كافة من بعد طوفان نوح إلى قيام الساعة ؛ لأن الآية الكريمة تشير إلى حمل أصول تلك البشرية الثانية فى صلب نوح (عليه السلام) وفى أصلاب صحبه الذين نجاهم الله (سبحانه وتعالى) معه من نازلة الطوفان ، والمعارف المكتسبة فى علم الوراثة تؤكد أن البشرية كلها من لدن أبينا آدم (عليه السلام) وحتى قيام الساعة كانت فى صلبه لحظة خلقه ، ثم بدأت فى التوزع إلى زوجه حواء (عليها السلام) ، ثم إلى بنيهما وأحفادهما الذين مثلوا الموجة الأولى من بنى آدم.

ولما انحرف بنو آدم عن منهج الله أرسل الله (تعالى) إليهم الأنبياء والرسل حتى عهد نوح (عليه السلام) واستعصى الناس على قبول هدايته فعاقبهم الله (سبحانه وتعالى) بالطوفان وقضى عليهم ، وبقيت فضلة من مجموع المورثات التى خلقها الله الخالق البارئ المصور فى صلب أبينا آدم (عليه السلام) فى أصلاب كل من نوح (عليه السلام) والناجين معه ؛ ليخلق الله (تبارك وتعالى) من تلك الأصلاب موجة البشرية الثانية إلى قيام الساعة. ومن هنا كان الخطاب فى الآية الكريمة التى نحن بصددها موجها إلى الموجة الثانية من البشرية التى نجت من طوفان نوح ، واستمرت فى التكاثر إلى اليوم وإلى قيام الساعة بانقسام الشفرات الوراثية عند تكون الخلايا التناسلية وتكاملها بالتزاوج.

وبالرجوع بعمليات انقسام الخلايا التناسلية إلى الوراء مع الزمن تلتقى جميع الشفرات الوراثية فى خلايا السبعة بلايين إنسان الذين يملؤون جنبات الأرض اليوم ، وفى خلايا ذراريهم إلى قيام الساعة ، مع الشفرات الوراثية التى كانت فى خلايا أسلافهم إلى عهد طوفان نوح (عليه السلام) مع الشفرات الوراثية التى كانت فى صلب نوح وفى أصلاب الناجين معه ، ومن هنا كان الخطاب لجميع أفراد موجة البشر الثانية بقول ربنا (تبارك وتعالى) :

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١١].

ولما كان علم الوراثة من أحدث المعارف المكتسبة ، وكانت قوانين الوراثة لم تتبلور إلا فى أوائل القرن العشرين ، وكان مرسى سفينة نوح لم يحدد إلا فى نهاية ذلك القرن ، كانت هاتان الومضتان المبهرتان فى الآية الحادية عشرة من سورة الحاقة حقيقتين علميتين صحيحتين تشهدان للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية ، بل هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم).

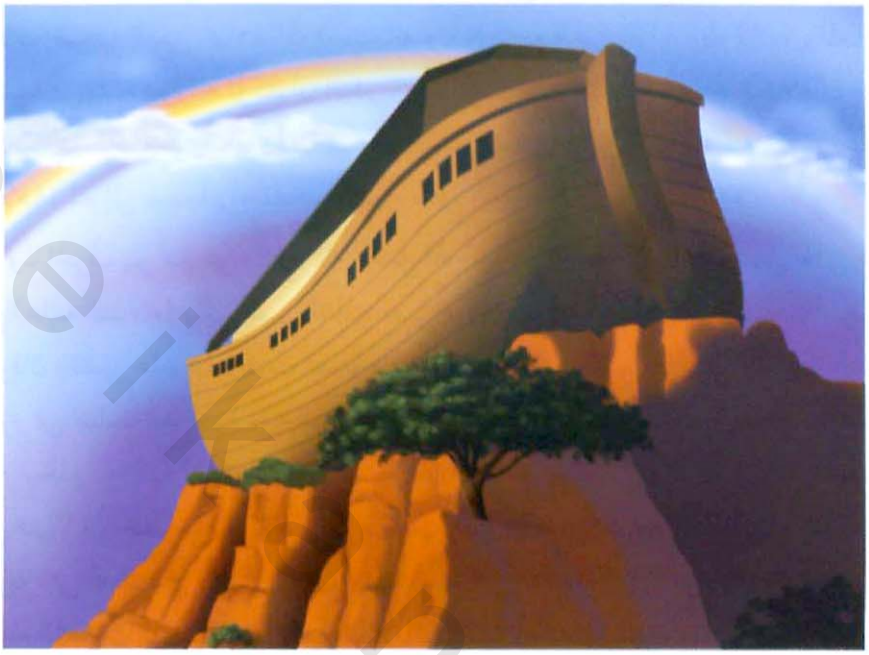

واستوت على الجودى

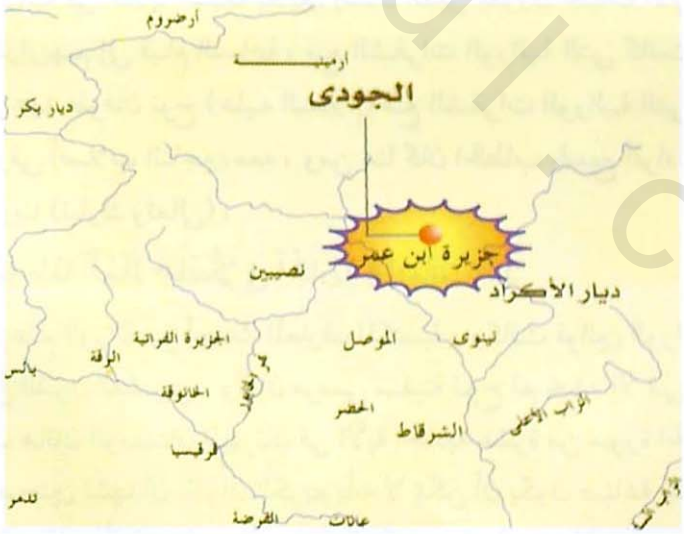

خارطة توضح موقع جبل الجودى

قطعة من الخشب الذى صنعت منه سفينة نبى الله نوح (عليه السلام)

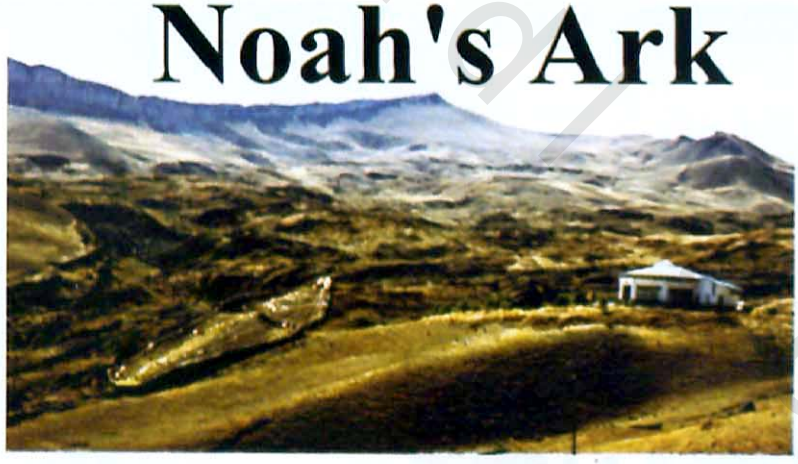

الموقع الصحيح لاستواء سفينة نوح هو جبل الجودى على بعد ٢٥٠ ميلاً إلى الجنوب الغربى من جبل "أرارات"

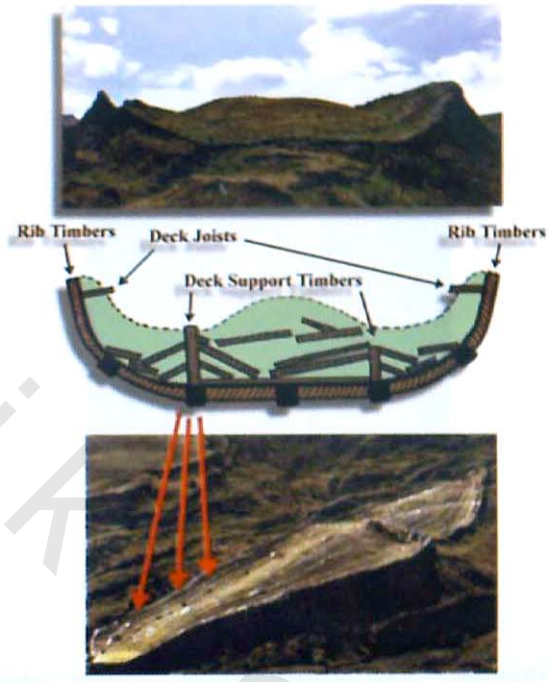

بقايا سفينة نوح على جبل الجودى، وطبيعة لها فى رسوبيات الجبل

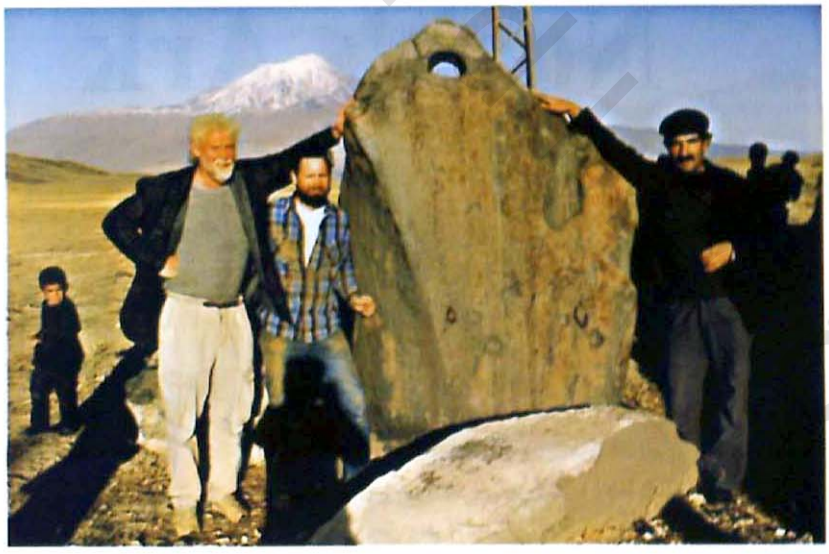

سفينة نوح لحظة اكتشاف أول أجزائها على جبل الجودى

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩]

من الدلالات العلمية للآيتين الكريمتين

أولا: التأكيد على انقسام الوجود إلى عالمين هما:

(أ) عالم الشهادة المنظور: ويشمل كل ما يراه الإنسان بعينيه المجردتين، أو بالاستعانة بالعدسات المكبرة، كما هو الحال فى المناظر، والمجاهر، وغيرها من أجهزة الرصد المختلفة.

(ب) عالم الغيب غير المنظور. والغيب غيبان:

(١) غيب مرحلى (أو مؤقت): لا يراه الإنسان بطريقة مباشرة، ولكن يكتشفه على مراحل متتالية مع اتساع دائرة علومه وبحوثه وكشوفه، وهو الذى يجرى علماء الكون من ورائه فى محاولات جادة لكشفه والوصول إلى فهم شىء من حقيقته وأسراره التى تعين على عمارة الأرض، وهذه من العلوم النافعة التى يشجع الإسلام العظيم على الاهتمام بها من أجل القيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض.

ومن أمثلة هذه الغيوب المرحلية ما كشفه العلم من حقائق وظواهر لم تكن معروفة من قبل فى مجال الأنفس والآفاق وتطبيقاتها العملية فى مختلف المجالات، وعمليات الكشف العلمى التى بدأت متباطئة فى القديم، وتسارعت معدلاتها فى القرنين الماضيين ـ بصفة عامة ـ وفى العقود المتأخرة ـ بصفة خاصة ـ تؤكد أن عالم الغيوب المرحلية لا نهاية له، وأنه أوسع وأرحب من عالم الشهادة، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة لأحد فى زمن الوحى، ولا لقرون متطاولة من بعده.

(٢) غيب مطلق: لا سبيل للإنسان فى معرفة شىء منه إلا عن طريق وحى السماء، فقد استأثر الله (تعالى) بعلمه، أو اختص نفرا من خلقه بطرف منه، وإن بقيت الغالبية الغالبة منه فى علم الله (سبحانه وتعالى) ومن الغيوب المطلقة: الذات الإلهية، والملائكة، والروح، والساعة الآخرة، والبعث، والحشر، والصراط، والميزان، والحساب، والجنة، والنار، والجن، وغير ذلك من مخلوقات الله الأخرى.

ثانيا: التأكيد على أن عين الانسان لا ترى كل شىء

البصر حاسة الرؤية، أو الجارحة التى وهبها الله (تعالى) القدرة على الإبصار، والقوة فى ذلك، يقال **(أبصرت) (بصرا)** فأنا به **(بصير)** أى رأيت شيئا مما تستطيع عيناى رؤيته فأدركت جانبا من حقيقته، أما رؤية القلب المدركة فيقال لها **(البصيرة)** وجمعها **(البصائر)**.

ويعتبر **«الحسن بن الهيثم»** (٣٥٤ ـ ٤٣٠هـ/ ٩٦٥ ـ ١٠٣٩م) مؤسس علم البصريات الحديث، واشتهر من كتاباته فيه مؤلف بعنوان **(المناظر)** ترجم إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٧٢م، واستقى منه مَنْ جاء بعده فى هذا التخصص، فقد استطاع **«ابن الهيثم»** وضع حد للخلافات القديمة حول تعريف الضوء، وتفسير عمل حاسة الإبصار، ووضع الأساس لعلم العدسات، وعزا إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى، له فى ذاته وجود عينى وسماه الضوء، وكان من ثمرات علمه تصنيع كل من المقراب **«المنظار»** والمجهر الضوئى.

وتابع العلماء من بعد **«ابن الهيثم»** ما أرسى لهم من قواعد فى علم الضوء حتى ثبت بالتجربة أن النور الأبيض الذى يرى فى وضح النهار مستمد من ضوء الشمس، وأنه مكون من عدد لا نهائى من الأطياف المتدرجة فى ألوانها، والتى تميز عين الإنسان منها سبعة فقط هى: **«الأحمر، والبرتقالى، والأصفر، والأخضر، والأزرق، والنيلى، والبنفسجى»**، وهى الألوان التى تميزها عين الإنسان فى **«قوس قزح»** بدرجات متفاوتة.

كذلك ثبت أن ضوء الشمس عبارة عن سلسلة متصلة من أمواج الطيف

الكهرومغناطيسى التى لا تختلف فيما بينها إلا فى ترددداتها، وأطوال موجاتها التى تمتد من جزء من تريليون جزء من المتر (١٠-١٢م) لأشعة جاما إلى عدة كيلومترات بالنسبة لموجات الراديو (الموجات غير السلكية) ويلى أشعة جاما فى الطول الأشعة السينية، ثم فوق البنفسجية، ثم حزمة الأشعة المرئية، ثم الأشعة تحت الحمراء، ثم أشعات الراديو القصيرة، والمتوسطة، والطويلة، والأشعات البصرية التى تستطيع عين الإنسان إدراكها يمتد طولها الموجى بين واحد من مائة ميكرون، ومائة ميكرون (والميكرون يساوى جزءا من مليون جزء من المتر)، وتشمل ـ بالإضافة إلى الضوء المرئى ـ كلا من الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء، وخارج هذه الحدود فإن عين الإنسان لا ترى.

وبالاستطراد فى هذا الاتجاه ثبت أن كلا من الضوء وغيره من الإشعاعات ـ وكذلك الدقائق الأولية للمادة ـ يتصرف كموجات فى بعض ظواهره، ويتصرف كدقائق أو كجسيمات متناهية الحد فى الصغر فى بعض الظواهر الأخرى، وبذلك ثبت أن كلا من المادة والطاقة يتألف من شىء غير الدقائق والموجات لا نعرفه، ونعجز عن تصوره، رغم تمكننا من وضع المعادلات الرياضية لوصف حركته.

ثالثا: الإشارة إلى معجزة الإبصار بالعين

تشير الدراسات الطبية إلى أن طبقة واحدة من طبقات شبكية العين تحتوى على خمسمائة مليون خلية بصرية مستقبلة للضوء، وأنه عندما يسقط شعاع الضوء على الشبكية تلتقطه خلايا متخصصة منها ثمانية ملايين من المخاريط المتخصصة فى استقبال الضوء الساطع، ومائة وخمسون مليونا من العصى المتخصصة فى استقبال الضوء الخافت، وذلك للمساعدة على الرؤية فى كل من النهار والليل، وأن العصب البصرى الذى يمتد من قاع العين إلى مركز البصر فى مؤخرة المخ يتكون من نصف مليون ليف عصبى، وينقل الصورة المرئية بسرعة تصل إلى ألف مرة فى الثانية الواحدة.

رابعا: التأكيد على محدودية علم الإنسان مهما اتسعت دوائره

فمع التقدم المذهل فى علم الفلك خلال القرنين الماضيين ـ بصفة خاصة ـ خرج علينا الفلكيون بأن حسابات الجاذبية بين مجرات السماء تؤكد على أن المدرك من الكون ـ أى

الذى يستطيع أن يراه الإنسان بكل أجهزته وتقنياته المتقدمة ـ لا يتعدى ١٠٪ من المادة الموجودة فعلا فى الجزء الذى وصل إليه علم الإنسان ؛ ولذلك أطلق الفلكيون على أغلب مادة الجزء المدرك من الكون اسم «**المادة الداكنة ـ Dark Matter**» أو «**المظلمة**» أو «**المادة الخفية ـ Shadow Matter**» والتى أمكن التكهن بوجودها على أساس من حسابات «**الكتل الناقصة ـ The Missing Masses**» و«**انحناء الضوء ـ Gravjation Lensing**» من حولها ولو أنها لا ترى بواسطة أى من المقربات البصرية، أو الراديوية، أو التى تستخدم أيًا من الأشعات تحت الحمراء، أو فوق البنفسجية، أو السينية، أو أشعة جاما.

وقد اقترح أن هذه المادة الخفية إما أن تتكون من «**كتل شديدة التماسك ـ Massive Compact Halo Objects Machos**»، كالتى تنتج عند انفجار النجوم، وشدة تضاغط المادة فى جوفها كالنجوم البيضاء، والبنية القزمة، والنجوم النيوترونية، والنجوم الخانسة الكانسة (**الثقوب السود**) وبقايا انفجار النجوم الأخرى، وكتل فى حجم الكواكب من الصخور والجليد. أو أن تكون المادة الخفية على هيئة بعض «**اللبنات الأولية للمادة المتفاعلة مع بعضها البعض ـ WIMPS Weakly Interacting MassiveParticles Axions, Massive Neutrinosans Photinos**»، وإن كان أى من هذه الوحدات لم تمكن رؤيته بعد.

هذا فى العالم الأكبر ـ عالم الفلك ـ وبالعودة إلى العالم الأصغر نجد أنه ملىء بالغيوب والأسرار التى لم يبصر الإنسان فيها بعد إلا النزر اليسير، وكلما جلس الإنسان إلى أى من وسائل التكبير (المجاهر والمناظير الضوئية، والإليكترونية النافذة والكاسحة، وآلات التصوير باستخدام أشعات الليزر والميزر، وباستخدام أجهزة مرتبطة بالشحنات الكهربائية، وبـ«**الأنظمة الكهروبصرية ـ Charge Coupled Devices(CCD) and Electro Optical Systems**»، وأجهزة التصوير الحرارى باستخدام الأشعة تحت الحمراء، وأجهزة الموجات فوق الصوتية، وأجهزة الرنين المغناطيسى، والحواسيب العملاقة، كل ذلك) كشف ولا يزال يساعد على الكشف فى العوالم المجهرية ما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وعظيم الصنعة، وإحكام الخلق.

فالإنسان محدود بحدود مكانه فى بقعة محددة من الأرض، وحدود زمانه، أى عمره، والأرض جزء من المجموعة الشمسية، ويوجد فى مجرتنا سكة التبانة (الطريق اللبنى أو درب اللبانة) أكثر من مليون مليون نجم كشمسنا، وكما أن لشمسنا توابع من الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات، وتجرى من حولها الشهب والنيازك، فكذلك كل نجم من نجوم مجرتنا.

ويحصى العلماء ما بين مائتى بليون وثلاثمائة بليون مجرة فى الجزء المدرك من السماء الدنيا، والذى يقدر قطره بأكثر من ٢٤ بليون سنة ضوئية **(والسنة الضوئية تقدر بحوالى ٩,٥ مليون مليون كيلومتر)** وهذا كله يجرى فى جزء صغير من السماء الدنيا الذى لا ندرك مما فيه أكثر من ١٠٪، ولولا أن الله (تعالى) قد أخبرنا بأنه خلق **(سبع سماوات طباقا)** ما كان أمام الإنسان من وسيلة لإدراك ذلك. فسبحان الذى أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة، ومن فوق سبع سماوات شداد قوله الحق:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩].

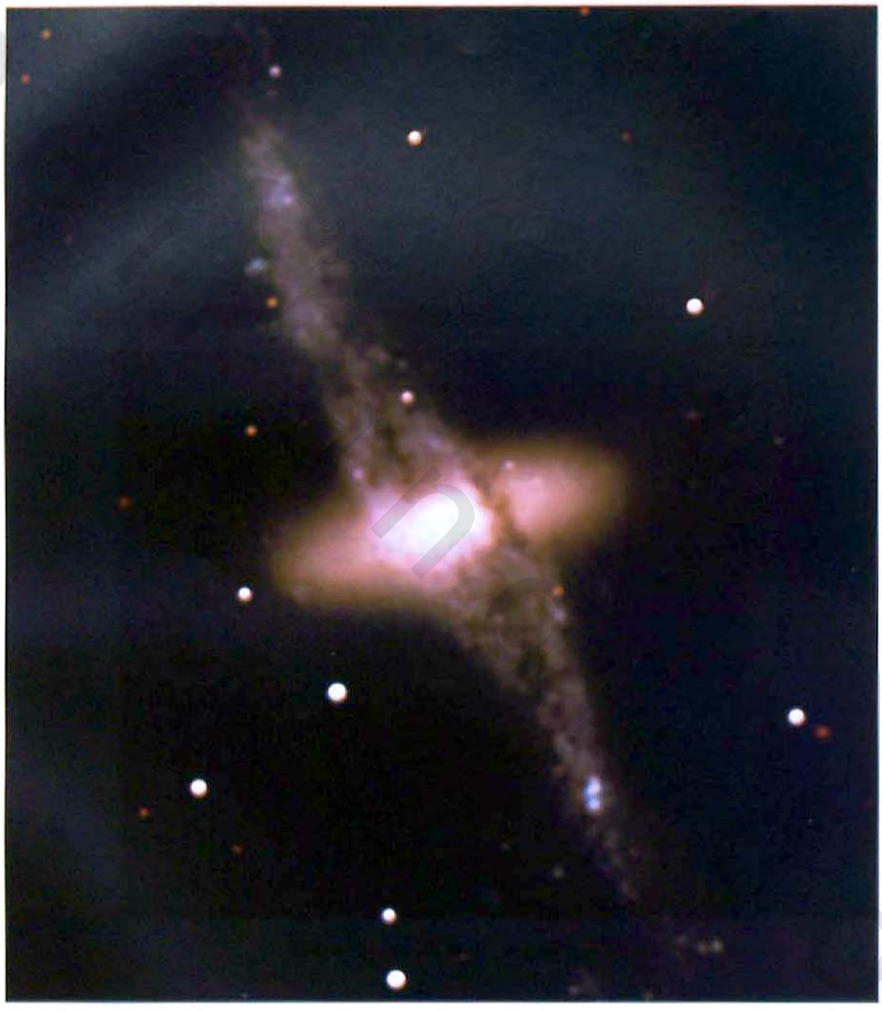

أغلب مادة الجزء المدرك من الكون من المادة الداكنة أو المظلمة

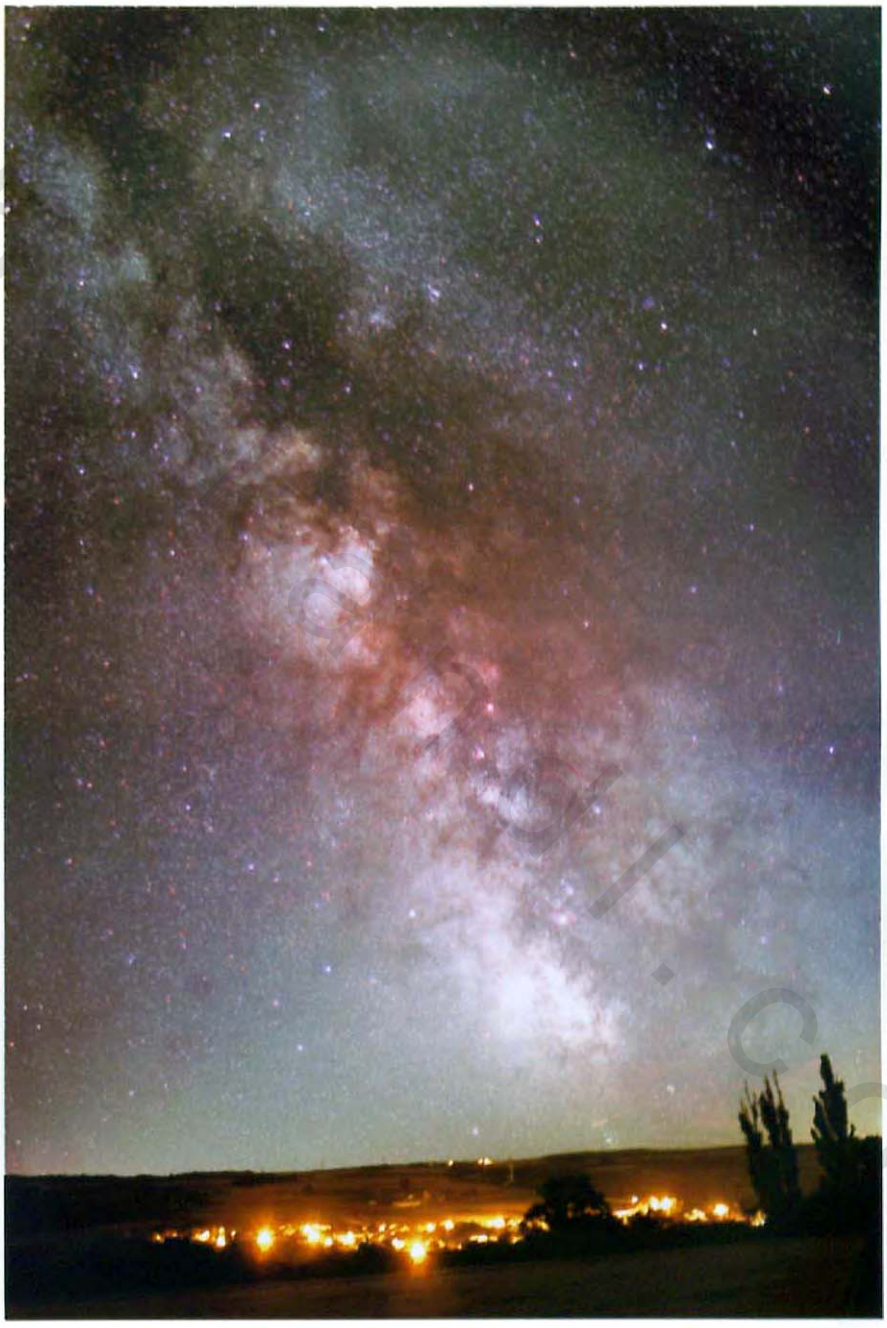

صورة لجزء من مجرتنا درب اللبانة

صورة مركبة لمجرتنا سكة التبانة (الطريق اللبنى أو درب اللبانة)

صورة لمجرتنا سكة التبانة (الطريق اللبنى أو درب اللبانة)

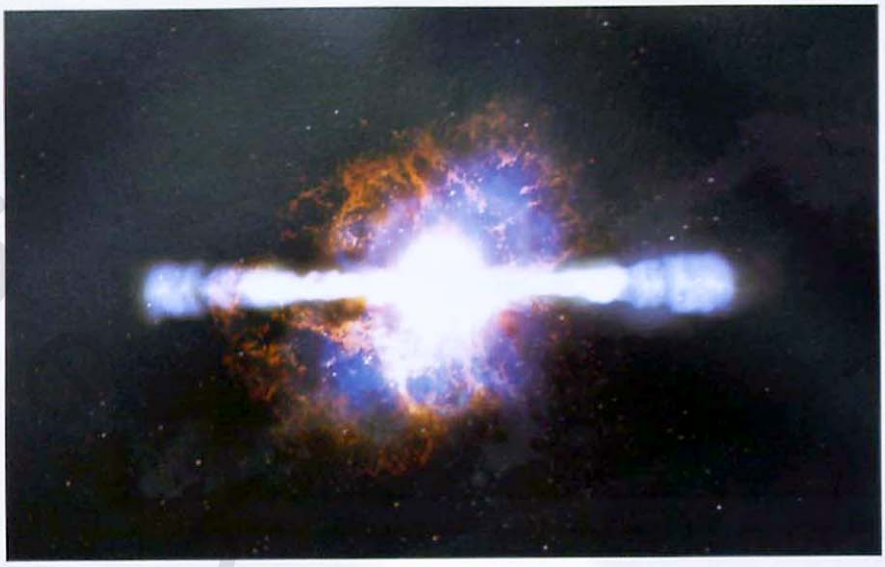

عند انفجار النجوم تنتج النجوم البيضاء، والبنية القزمة، النجوم النيوترونية أو النجوم الخانسة الكانسة (الثقوب السوداء) حسب الكتلة الابتدائية للنجم المنفجر

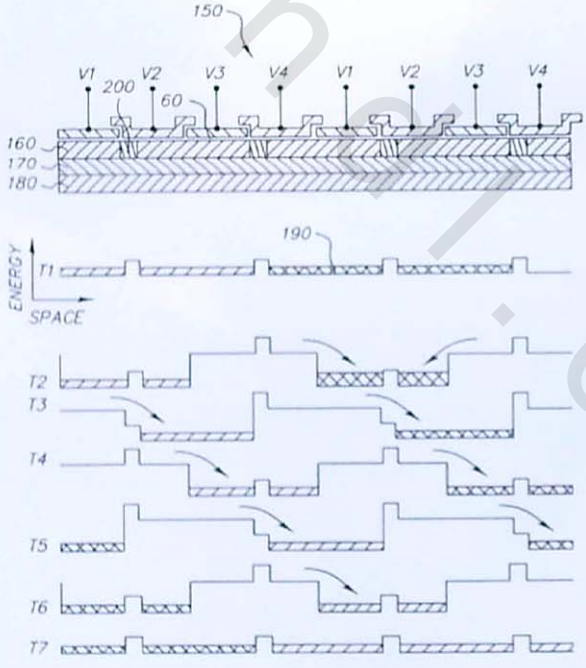

طريقة عمل أجهزة مرتبطة بالشحنات الكهربائية ، وبالأنظمة الكهروبصرية

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾
[آل عمران: ١٨]